

مغامرة البحث عن صورة المطلق

غابرييل رينولدز: هل يمر الفهم الأعمق للقرآن عبر معرفة اللغة السريانية

يتابع رينولدز تاريخ تأسيس الإسلام عبر سرد حياة النبي محمد في مكة والمدينة، وكذلك حكم الخلفاء الأربعة الذين يوضح تاريخهم الاختلافات بين وجهات النظر السننية والشيعية في الإسلام. إن نظريته الموسوعية إلى بنية القرآن ومعناه واستخدمه لغة التوراتية تساعد في توضيح معناه الديني. يقدم الكتاب فهما غنيا بالتفسيرات المتنوعة لظهور الإسلام، مما يوحي بأن ظهوره هو نفسه دائم التطور والتجدد.

جعل الباحث من كتابه أداة تربوية لأنه يقدم مجموعة متنوعة من طرق التدريس المفيدة، بما في ذلك ملخصات للفصول وأسئلة للمراجعة والمناقشة، وصورا وخرائط، ويقترح قراءات ومسردا وجدولا زمنيا لتدريس المضمون ما دام الكتاب موجها لجمهور أميركي من طلبة وباحثين.

غابرييل رينولدز منكب الآن على تصحيح مسودة كتابه الأخير، "الله في القرآن"، ويبين فيه للغربيين أن الشخصية المركزية في القرآن ليست النبي محمد، كما يسود الاعتقاد، بل الله. كما يبين أن القرآن يتسم، في المقام الأول، بدعوته إلى عبادة الله والله وحده. ويقدم رينولدز صورة مضيئة لله، وصورة فريدة عنه في القرآن: هو إله الرحمة والانتقام على حد سواء، ولا حدود لرحمته.

"الجديد" التقت الباحث في حوار حول جملة من المسائل المتصلة بأبحاثه اللاهوتية.

إذا كانت علاقة الكتاب المقدس العبري والعهد الجديد المسيحي ثابتة وتناولتها عدة دراسات، فإنه قد تم النظر إلى القرآن بشكل منفصل. وقد اعتمد عالم الإسلاميات رينولدز على مضمون قرون من الدراسات القرآنية والتوراتية لتقديم تعليقات صارمة وكاشفة حول كيفية ارتباط هذين الكتابين المقدسين ارتباطاً جوهرياً مما يوفر عدسة جديدة يمكن من خلالها الاطلاع على الروابط القوية التي تربط بين هذه الديانات الرئيسية الثلاث. ويوضح رينولدز كيف تظهر الشخصيات والصور والأدوات الأدبية اليهودية والمسيحية بشكل بارز في القرآن.

يروي عبر المسح المختصر في كتابه الثاني "نشوء الإسلام، التقاليد الكلاسيكية من منظور معاصر"، والذي ترجم مؤخرًا إلى اللغة العربية، قصة الإسلام. يقسم رينولدز دراسته إلى ثلاثة أقسام وعدة فصول، مبتدئًا من حياة النبي محمد المبكرة وتنامي سلطته منذ نزول الوحي، مما يدل على نشأة القرآن وتطوره في تمازج متميز، وإن كان فريداً، بين القرآن والأدب التوراتي (القسم الثاني)، ويختتم كتابه بتقديم نظرة عامة عن الروايات الحديثة والأصولية المشككة لأصل الإسلام، والتي تكشف سير كل الذين سيمثلون مستقبل الإسلام من خلال تشكيل ماضيهم (القسم الثالث).

غابرييل رينولدز باحث أميركي، وأحد أبرز المتخصصين المعاصرين في الدراسات الإسلامية. ولد بالولايات المتحدة وبها درس، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة يال في العام 2003. دُرِس بجامعة نورثام، وعمل أستاذاً زائراً في ثلاث مؤسسات، الجامعة الأميركية ببيروت (2006-2007)، وجامعة القديس يوسف، بيروت، (2010-2011)، وجامعة بروكسيل الحرة (2011-2013).

حاضر في غير جامعة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، القاهرة، والقدس وبيروت ودمشق وأنقرة وطهران. ونظم عدة مؤتمرات بجامعة "نوتردام" موضوعها القرآن الكريم، نقلت صداها والوقائع مقالات نيكولاس كريستوف في صحيفة "نيويورك تايمز"، ومقالات "بالكريستيان ساينس مونيتور"، وملحق "التايمز" الأدبي، وصحيفة "نيويورك دايلي نيوز". كما أسهم في فيلم وثائقي عن القرآن أنتج في أوروبا وعرضته القناة الثقافية (أرتي). عضو مؤسس جمعية الدراسات القرآنية الدولية، التي تضم باحثين من كل الملل والنحل، وتبحث في القرآن وتاريخه وعلاقته بالكتابين المقدسين السابقين.

من بين كتبه المنشورة "القرآن ونصه التوراتي الضمني"، ويمثل دراسة مقارنة رائدة تضيء الروابط بين القرآن والكتاب المقدس، الباب الذي سحر غابرييل ودخل عبره إلى محراب الدراسات الإسلامية.

عبدالعزیز جدير
كاتب مغربي



يرى رينولدز أن عناية بدراسة اللغة العربية حلت به خلال دراسته بجامعة كولومبيا بنيويورك، ثم سافر إلى عدد من بلدان الشرق الأوسط لتعميق دراسته للغة العربية. كان ذلك سعيه الأول والأساس في البداية. وفي سنة (2000)، حيث بدأ يحتاج الأوساط الثقافية جدل حول لغة القرآن، وخاصة مع صدور كتاب مفكر ألماني يسمى كريستوف ليكسنبرغ (اسم مستعار لقبه لغوي تركي الجنسية نشر الكتاب بعنوان "قراءة سريانية أرامية للقرآن، مساهمة في حل شفرة لغة القرآن")، الذي طرح فكرة مفادها أن الفهم العميق للقرآن يمر عبر فهم اللغة السريانية. وهي الفكرة التي هزت وعي رينولدز وفهمه، وتساءل كيف يعقل ذلك، وبدت له الفكرة، يومها، فكرة جذرية ومنطرفة بعض الشيء كاطروحة. ولكن أطروحة كريستوف دفعت به نحو السعي إلى اكتشاف حقل الدراسات القرآنية، وتابع البحث عبر دراساته لتتهيئ رسالة الدكتوراه بجامعة يال. وهكذا رسم سبيله للسير خطوات في طريق البحث وانطلق في حقل الدراسات القرآنية.

لعل للجنود هيمنتها على اختيار الفرد، ولذلك يكون رينولدز لبين نداء الإعماق حين اختار دراسة اللغة العربية في رحاب جامعة نيويورك، قد يكون الاختيار محض الصدفة، وقد تكون الجنود أينعت ذات لحظة وأمست بتلابيب صاحبها. يتساءل رينولدز "لست أدري هل يمكن أن يكون لقصتي الشخصية بعض الفائدة في إضاءة جوانب من دراستي، ولكنني أشير إلى لحظة منها نزولا عند رغبتك والإلحاح. فانت تلاحظ أن اسمي غابرييل رينولدز سعيد، وذلك لأن جذورا عربية توجد داخل اسرتي من جهة الوالدة. وهي جذور سورية. ولكنني تربيت في أميركا تربية أميركية كاملة، ولم تكن لي أي معرفة باللغة العربية، ولا صلة بيننا، وحدث أنني رغبت في اكتشاف سر اللغة التي شكلت جزءاً من وعي بعض أعضاء الأسرة من جهة الأم، وهكذا ذهبت لاكتشاف عائلتي التي ضاعت مني، وربط الاتصال بها في المهدي، في دمشق".

القرآن والسريانية

لكن، هل يمر الفهم الأعمق للقرآن عبر معرفة اللغة السريانية حقاً؟ يرى رينولدز أن الأمر معقد جداً في الحقيقة. فيفضل دراسات النقوش أي منذ اكتشاف هذا النوع من الكتابات أصبح بالإمكان فهم سياق تاريخ الجزيرة العربية، ومرحلة القرون الوسطى القديمة؛ ذلك أن اللغة العربية كانت على صلة وقربا مع كثير من اللغات السامية من بينها اللغة السريانية، لا ريب في ذلك، واللغة العبرية، وخاصة كل التفرعات المرتبطة باللغة العربية، ويقصد بها ما يسمى اللغة العربية القديمة للشمال، والعربية القديمة المنتمية إلى الجنوب. وهناك أيضا الصلة أو العلاقة بلغات أثيوبيا، وهي التي كان يطلق عليها "كاز". وبحسب رأيي، هناك حضور لمعجم أجنبي في القرآن، ويعود ذلك إلى وجود اليهود والمسيحيين الذين حملوا معهم معجماً دينياً يقوم على اللغتين العبرية

غابرييل رينولدز أحد أبرز المتخصصين في الدراسات الإسلامية

يكون الله ماركاً؟ ما معنى المكر؟ (المكر في موضوع الحرب)، ويبين المثال أن معرفة اللغة العربية أمر لا محيد عنه. يجب فهم كل الحقل الدلالي لكلمة مكر، هل تدل العبارة فعلاً على خيبة الأمل، ما معنى "خير الماكين"؟ أعني الأحسن أم تعني الأرفع شأنًا، وهي قراءة أخرى ممكنة. وعندما نقرا في ترجمة المترجم النمساوي، محمد أسد، الذي عاش فترة من حياته في المغرب، ("He is above" "إنه فوق المتمازين" ندرك المعنى، وبالخاصة، إذا اعتدنا على قراءة ترجمة القرآن فلن نكون لنا إلا معرفة سطحية بالقرآن".

المتنقّم والرحيم

انتمى رينولدز إلى معهد الدراسات المتقدمة بمدينة "نانانت" إذ كان وضع مخططا القيام ببحث، وتلقى دعوة من "الدراسات المتقدمة" بمدينة نانت بفرنسا، وهناك أنجز معظم أبحاثه الخاصة بمشروع "الله شديد الانتقام، والله رؤوف رحيم"، وقد تمكن من قراءة بحوث ومصادر شرقية وغربية وقضى وقتاً طويلاً في قراءة كتاب خلف الله عن "الفن القصصي في القرآن الكريم". ثم تمكن من الانتكاب على المناقشات الخاصة بالبلاغة في القرآن، وكيف يوظف القرآن السرد ليتقدم نحو الهدف الأسمى وهو الإقناع. وكانت التجربة مشتركة مع باحثين آخرين لتتهيء مسودة هذا الكتاب.

ينشر الحوار بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية للندن والنص كاملاً على الموقع الإلكتروني

عليها اليهودية المسيحية. وهناك أيضا الوثنيون، وإن كنا لا نتوفر على كتابات خطتها أقلامهم، كما نتوفر على نقوش أيضا، أي إن لنا مصادر أخرى. ومع هذه الصورة الأدبية والتاريخية لا مجال للتعرف أو اكتشاف تحريفات أو تغييرات أو تزوير بل السؤال المطروح علينا جميعاً هو كيف نفهم هذه الكتب الثلاثة؟.

القرآن والعربية

وما دمنا نتحدث عن المقارنة اللغوية التي تعتمدها الجمعية في دراساتها، يمكن أن نتساءل: هل يمكن أن يدرس باحث معين القرآن بشكل دقيق من دون معرفة اللغة العربية، ذلك أن معجزة القرآن تكمن في اللغة التي كتب بها، وهي التي أطلق عليها الجرجاني الإعجاز القرآني ويبحث عن دلائله، وتتجلى في خصائص منها التقديم، والتأخير، والفصل والوصل الذي جاءت به الرسالة.. لا يمكن القول إننا لن نفهم القرآن من دون معرفة اللغة العربية، ولكن يمكن القول إننا نعمق فهمنا ومعرفة القرآن بمعرفة اللغة العربية. ولذلك، يقول رينولدز "السح على طبني الأميركيين أن المرحلة الأولى للدراسة تمر عبر معرفة جيدة باللغة العربية، ولا يجب الاكتفاء بكتب تقديمية أو مطبوعات عامة أو دلائل أو نصوص تتحدث عن اللغة، بل يجب دراسة الشروح والتفسيرات والانتكاب على ذخائر المعاجم، ودراسة التفاسير. ولتقديم دليل على كل هذا، نجد في سورة "أل عمران"، الآية 54، وهي آية صعبة "ومكروا، ومكر الله، والله خير الماكين". نجد هنا مشكلاً لاهوتياً، وآخر دلاليًا، وننتسأل هل يمكن أن

النبي عيسى، وهو المعنى الأصح، والادق. ومعنى ذلك أن جذر هذه الكلمة ليس عربياً، وليس معنى ذلك أنه يجب أن نبحت في كل كلمة عن جذرها غير العربي، فالقرآن كتاب عربي في نهاية المطاف. يلح القرآن على أنه "انزل بلسان عربي"، و"لسان عربي مبين". ولكن هناك حالات تبين أنه يجب أن نتوفر على هذه المعرفة بلغات أخرى لنردك معاني القرآن بشكل أعمق، وأدق.

القول بأن الديانات التوحيدية أتت من إله واحد، ولا بد أن ينزل بها جبريل على الأنبياء الثلاثة، وأن يكون تشابه بينها، في عناصر ومبادئ معينة، واختلافات ما دام الإسلام أتى ليصحح ما اعترى الديانتين السابقتين من تحريف، وهو ما قامت به المسيحية بعد أن نزلت بعد اليهودية، قول صحيح من منظور ديني ولاهوتي. "حين ننتقل من منظور لاهوتي نقول لا وجود إلا لإله واحد، لا إله إلا الله، ويتجلى عبر عدة مراحل. ومن هذه الزاوية يمكن أن نتعرف عن تقابلات بين أنواع الوحي، وهذه مقارنة لاهوتية، ولها تعقيداتها أيضا. لكن معظم الباحثين في جمعية الدراسات القرآنية الدولية، والتي أنا عضو منخرط فيها، يعتمدون مقارنة أدبية وتاريخية. ويمكن أن أستعين بهذه الصورة، إن بين أيدينا ثلاثة كتب، كما يمكن أن يكون أمامنا كتب منها "الإلياذة"، و"الأوديسا" لهوميروس، بين أيدينا ثلاثة كتب هي: الكتاب المقدس باللغة العبرية، والعهد الجديد، والقرآن، وبين أيدينا أيضا كل الكتابات التي كتبت خلال العصور القديمة المتأخرة اليهودية والمسيحية، والكتابات الأخرى. أي الكتابات التي تنتمي إلى حركات نعت بالمتزندقة التي انفصلت عن المسيحية، وأطلق



هل يمكن أن يدرس باحث معين القرآن بشكل دقيق من دون معرفة اللغة العربية

